

استشهاد التابعين بآيات القرآن الكريم (معناه وأصوله وضوابطه وموضوعاته)

د. محمد عواد محمد عيسى

<https://doi.org/10.65723/RMSP26103>

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة استشهاد التابعين بآيات القرآن الكريم، من خلال بيان معناه وأبعاده المنهجية، والكشف عن الأصول العلمية التي اعتمدوا عليها، وبيان الضوابط الدقيقة التي التزموا بها لضمان سلامة الاستدلال وصيانتها من التحريف وسوء الفهم، وتصنيف موضوعاته في فكرهم. وبعد خاتمة البحث، جاءت النتائج والتوصيات، ومن أهم النتائج: سعة علم التابعين - رحمهم الله - في اللغة والفقه والتفسير والأصول والشعر وسائر الفنون المتعلقة بالقرآن الكريم، ودقة فهمهم لآيات الله تعالى وما تضمنته من معانٍ. أما التوصيات فمن أبرزها: دعوة أهل العلم والباحثين إلى العناية باستشهادات التابعين، وإفرادها بمزيد من الدراسة والبحث.
الكلمات المفتاحية: الاستشهاد القرآني - أصول الاستدلال - ضوابط الاستشهاد - الاحتجاج بالقرآن.

Abstract:

This research aims to study the followers' (Tabi'un) use of Quranic verses as evidence, by clarifying its meaning and methodological dimensions, revealing the scientific principles they relied upon, outlining the precise rules they adhered to to ensure the soundness of reasoning and protect it from distortion and misunderstanding, and classifying its topics in their thought. After the conclusion of the research, the results and recommendations were presented. Among the most important results is the vast knowledge of the Tabi'un — may Allah have mercy on them — in language, jurisprudence, interpretation, principles, poetry, and all other arts related to the Qur'an, as well as their precise understanding of Allah's verses and their meanings. As for the recommendations, the most prominent is calling on scholars and researchers to pay attention to the Tabi'un's use of evidence and to dedicate further study and research to it.

Keywords: Quranic Citation - Foundations of Inference - Criteria of Citation - Quranic Argumentation.

المقدمة:

يُعدّ القرآن الكريم المصدرَ الأولَ للتشريع الإسلامي، والمرجعَ الأساس في بيان الأحكام والعقائد والأخلاق، وقد حظي بعناية كبيرة من العلماء في مختلف العصور. ومن بين هؤلاء العلماء يبرز التابعون الذين تلقوا العلم عن الصحابة الكرام، فكانوا حلقة وصل مهمة في نقل علوم القرآن وفهم معانيه. وقد تميزوا بدقة الفهم وسعة العلم، مما جعل استشهاداتهم بالآيات القرآنية ذات قيمة علمية كبيرة.

ويأتي هذا البحث ليتناول موضوع استشهاد التابعين بآيات القرآن الكريم، من خلال بيان مفهوم الاستشهاد، وشرح أصوله العلمية، وتوضيح الضوابط التي تحكمه. كما يسعى إلى الكشف عن المنهج الذي سار عليه التابعون في توظيف الآيات في الاستدلال على الأحكام والقضايا المختلفة.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يسלט الضوء على جانب مهم من جهود التابعين في خدمة القرآن الكريم، ويساعد في ضبط الاستدلال بالآيات بعيداً عن الخطأ وسوء الفهم. كما يبرز هذا البحث مدى ارتباط التابعين بالقرآن الكريم علماً وعملاً، ويؤكد ضرورة الاقتداء بمنهجهم في الفهم الصحيح للنصوص الشرعية.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في الإجابة على التساؤلات الآتية:

ما المقصود باستشهادات التابعين بآي القرآن الكريم؟، ما هو منهج التابعين في الاستشهاد بآي القرآن الكريم؟، ماهي الضوابط التي تعين على فهم منهج التابعين في الاستشهاد بآي القرآن؟، ماهي أصول الاستشهاد الصحيح بآيات القرآن الكريم؟

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

لقد وقع اختيار الباحث لموضوع البحث لما له من أهمية كبيرة تتمثل في الآتي: أهمية الرجوع لفهم التابعين للقرآن الكريم، خطوة في ضبط الاستشهاد بالآيات القرآنية، نواة في استقراء كامل لاستشهاد السلف الصالح بآيات القرآن الكريم، مما يسهم في الحد من الخطأ في الاستشهاد بآيات القرآن الكريم.

ثالثاً: أهداف البحث: بيان جانب من ضوابط الاستشهاد الصحيح بالآيات القرآنية، إبراز جانب من مدى فقه التابعين وحيث إنهم وصلوا لدرجة عالية في الفقه والدين.

رابعاً: الدراسات السابقة:

بعد البحث والمطالعة للدراسات السابقة حول هذا الموضوع من خلال شبكة المعلومات، وسؤال أهل الاختصاص، وقفت على دراسات علمية ذات صلة منها:

1- استنباطات التابعين من القرآن الكريم/ للدكتور محمد بن نومان بن جديع العنزي _ جامعة محمد بن سعود الإسلامية المملكة السعودية _ اطروحة دكتوراه.

وجدير بالذكر أن هذه الأطروحة أهتمت بجمع وتحليل وتأسيس استنباطات التابعين بالقرآن الكريم ولم تختص بجمع استشهادات التابعين ودرستها واستخراج الفوائد منها.

2- استشهاد التابعين بالآيات القرآنية من بداية سورة الأعراف إلى نهاية سورة الإسراء/ للباحث عمر بن عبد الرحمن بن عمر السحبياني _ الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة _ المملكة السعودية _ رسالة ماجستير.

وهذا البحث الوحيد – فيما أعلم- التي اختصت بجمع ودراسة استشهادات التابعين؛ ولكنها محدودة ببعض السور، ولم تتناول جميع سور القرآن التي ورد فيها استشهادات التابعين، ولم تنحصر بالاستشهادات الواردة في موسوعة التفسير المأثور لمساعد الطيار.

منهج الباحث:

اتبع المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، خرّج الأحاديث من مصادرها، وبيّن درجة صحتها من خلال حكم العلماء المختصين عليها عدا المُخرّجة في الصحيحين، أشار إلى رقم الآية وذكر السورة، للآيات التي تكون في الدراسة من غير آيات السور موضع الدراسة، حرص على الرجوع للمصادر الأصلية والعزو إليها، ونسب الأقوال إلى قائلها في كل نقل، أثبت المراجع في الحاشية باختصار، وفي الفهرس بشكل كامل.

مباحث البحث:

أولاً: التعريف بالاستشهاد، وأهمية معرفته.

ثانياً: أصول تتعلق بالاستشهاد.

ثالثاً: ضوابط الاستشهاد.

رابعاً: موضوعات الاستشهاد.

المطلب الأول: التعريف بالاستشهاد، وأهمية معرفته

أولاً: تعريف الاستشهاد لغةً واصطلاحاً:

أ- الاستشهاد لغةً:

الاستشهاد مصدر من (شهد)، وقال الإمام الرازي: "(شَهِدَ): الشين والهاء والذال، أصلٌ يدل على حُضُورٍ وَعِلْمٍ وإِعْلَامٍ، لا يخرج شيء من فروعه عن ذلك"⁽¹⁾، "وشهد له بكذا أي: أدى ما عنده من الشهادة فهو (شاهد)"⁽²⁾، "استشهد بـ: قدّم دليلاً على كفاءته وغيرها"⁽³⁾، واستشهدتُ فلاناً على فلانٍ إذا سألته إقامة شهادَةٍ احْتَمَلَهَا، وأصل الشَّهَادَةِ: الإخبار بما شاهدَه، أي: بين ما علمه وأخبر به"⁽⁴⁾.

وقال المفسرون: "شهد بِمعنى (بين) في حق الله، وبمعنى (أقر) في حق الملائكة، وبمعنى (أقرّ واحتج) في حق أولي العلم من الثقلين"⁽⁵⁾.

الخلاصة/ معنى الاستشهاد تقديم الدليل للاحتجاج به وإقامة الحجة.

ب- الاستشهاد اصطلاحاً:

هو عبارة عما كان حاضرًا في قلب الإنسان من دليل أو حجة، وغلب عليه ذكره؛ فإن كان الغالب عليه العلم فهو شهادة بعلم، وإن كان الغالب عليه الحق، فهو شهادة بحق"⁽⁶⁾.

وقد فرق الدكتور مساعد الطيار بين الاستشهاد والتفسير، فقال: "كل قول ينسجم مع سياق الآية فهو تفسير، وكل قول لا ينسجم مع سياق الآية فلا يكون من باب التفسير، بل يكون من باب آخر من أبواب الاستدلال"⁽⁷⁾.

وضرب الدكتور مساعد أمثلة على التفريق بين التفسير والاستشهاد، ومنها:

"ما ورد عن أبي أمامة أنه فسر قوله تعالى: {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [الصف: 5] بأنهم الخوارج"⁽⁸⁾، وهذا القول لا يمكن أن يكون من باب التفسير لأن من شرط التفسير أن يكون منسجم القول مع نظم الآية، وهذا القول لا يتحقق فيه ذلك إذا قلنا إن هذا من باب التفسير، إذ سيكون المعنى: وإذ قال موسى لبني إسرائيل لم تلحقون بي الأذى وقد تحققتم أي مرسل من الله إليكم، فلما زاغ "الخوارج" أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الظالمين.

فتأمل كيف يكون السياق مضطرباً قلقاً إذا جعلنا هذا من باب التفسير، إذ ما شأن الخوارج في خطاب موسى لقومه؟! وأما تفسير الآية فوجهه أن يقال: وإذ قال موسى لبني إسرائيل لم تلحقون بي الأذى وقد تحققتم أي مرسل من الله إليكم، فلما زاغ "بنو إسرائيل" أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الظالمين.

فإن قلت: فكيف نفهم كلام أبي أمامة فالجواب: أن نقول: إن كلام أبي أمامة يخرج على تنزيل هذا المقطع {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} [الصف: 5] على حال الخوارج، وأنهم قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم، وليس أنه من باب التفسير"⁽¹⁰⁾.

ويرى الباحث أن الاستشهاد ليس دائماً يخالف السياق، فأحياناً يتعرض العالم إلى موقف ما أو يسأل عن مسألة، فيجيب عليها ويستشهد بآية من القرآن الكريم، وجوابه يكون ينسجم مع سياق الآيات، وهذا سيوضح عندنا بإذن الله في الفصل التطبيقي.

(1) معجم مقاييس اللغة- ابن فارس- 221/3.

(2) مختار الصحاح- الرازي- ص169.

(3) تكملة المعاجم العربية- رينهارت بيتر- 367/6.

(4) انظر: لسان العرب- ابن منظور- 240/3.

(5) الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية- أبو البقاء الكفوي- ص527.

(6) انظر: التعريفات- الجرجاني- ص124.

(7) المعاني المرتبطة بالآية بين التفسير والاستدلال- أ.د مساعد الطيار، 27-11-2020، موقع أ.د مساعد الطيار: https://www.attyyar.com/?action=user_home.

(8) هم: كل من اعتقد جواز الخروج أو خرج على الإمام الحق الذي انتفت الجماعة عليه، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين؛ أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان، ومن أقوالهم: تكفير مرتكب الكبيرة، وهم فرق شتى؛ منها: المحكمة الأولى، الأزارقة، والنجدات، والصفرية، والإباضية. انظر: الفرق بين الفرق- الأسفراييني- ص54، الملل والنحل- الشهرستاني- 20/1.

(9) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن- الطبري- 358/23.

(10) المعاني المرتبطة بالآية بين التفسير والاستدلال- أ.د مساعد الطيار، 27-11-2020، موقع أ.د مساعد الطيار: https://www.attyyar.com/?action=user_home.

استشهاد التابعين بآيات القرآن الكريم (معناه وأصوله وضوابطه وموضوعاته)

ثانياً: أهمية معرفة استشهادات التابعين:

بُعِدَت الشقة بين عصر النبي (صلي الله عليه وسلم) وعصر التابعين، وتزايد الغموض في فهم القرآن الكريم، واحتاج الناس إلى التفسير والاستشهاد بالقرآن حاجة بالغة، لهذا كانت معرفة استشهادات التابعين لها أهمية كبيرة؛ لأنها توضح لهم الآيات القرآنية.

وقد تزايد هذا الغموض -على تدرج- كلما بعد الناس عن عصر النبي (صلي الله عليه وسلم) والصحابة، فاحتاج المشتغلون بالتفسير من التابعين إلى أن يكملوا بعض هذا النقص، فزادوا في التفسير بمقدار ما زاد من غموض، ثم جاء من بعدهم فأتوا تفسير القرآن تبعاً، معتمدين على ما عرفوه من لغة العرب ومناحيهم في القول، وعلى ما صح لديهم من الأحداث التي حدثت في عصر نزول القرآن، وغير هذا من أدوات الفهم ووسائل البحث⁽¹¹⁾. واستشهادات التابعين تبين لنا سعة علمهم ودقة فهمهم وحسن استنباطاتهم وجمال عباراتهم وقوة التزامهم وتمسكهم بالكتاب والسنة المشرفة.

فهم نهلوا من مدرسة الصحابة المفسرين قراءة وحفظاً وتفسيراً وعملاً، الذين تعلموا على يد أشرف الخلق والمرسلين، وذهب كثير من العلماء إلى ضرورة الأخذ بأقوالهم في التفسير وغيره وخاصة إذا أجمعوا على أمر ما⁽¹²⁾. وعلينا نحن أن نقندي بهم في كل خير ونأخذ من بحر علومهم ومعرفتهم بشرع الله وبتفسير كتابه ونسير على نهجهم ولا نحيد عن طريقهم القويم.

المطلب الثاني: أصول تتعلق بالاستشهاد.

وقسم الباحث هذه الأصول إلى: أصول تتعلق بالمُستشهد، وأصول تتعلق بالمُستشهد عليه، وأصول تتعلق بالمُستشهد أولاً: أصول تتعلق بالمُستشهد

لكل شيء أصول وقواعد، ولا بد أن تتوافر عدة أصول فيمن يستشهد بالقرآن الكريم؛ حتى يكون استشهاده صحيحاً وموافقاً للتفسير وأصوله، ولا يضع الآية في غير موضعها، فيقول على الله بغير علم، وقد قسم الباحث هذه الأصول إلى قسمين:

القسم الأول: أصول تتعلق بصفات المستشهد الأخلاقية الذاتية

قال الإمام السيوطي رحمه الله: "أعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، ولا يظهر له أسرار، وفي قلبه بدعة أو كبر أو هوى أو حب الدنيا أو وهو مصرّ على ذنب أو غير متحقق بالإيمان أو ضعيف التحقيق أو يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم أو راجع إلى معقوله، وهذه كلها حجب وموانع بعضها أكد من بعض، وفي هذا المعنى قوله تعالى: {سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [الأعراف: 146]، قال سفيان بن عيينة: "أنزع عنهم فهم القرآن فأصرفهم عن آياتي"⁽¹³⁾ " (14).

ونستخلص من هذا القول الجامع للإمام السيوطي رحمه الله جملة آداب يتعين على المفسر التحلي بها، وهي:

- 1- عدم التلبس بالبدع سواء كانت مخرجة من الملة أو غير مخرجة.
- 2- التواضع وتطهير القلب من الكبر وكل ما يشوبه.
- 3- التجرد من اتباع الهوى.
- 4- الزهد في الدنيا وعدم التعلق بها.
- 5- التوبة وعدم الإصرار على الذنب.
- 6- قوة الإيمان وثقة بالله.
- 7- أخذ العلم عن أهله، وترك أهل البدع والأهواء.
- 8- التوقف عن الاستشهاد إذا لم يكن ثم علم يقيني أو غلبة ظن.

(11) انظر: التفسير والمفسرون- الذهبي- 76/1.

(12) انظر: موسوعة التفسير قبل عهد التدوين- محمد الحاجي- ص 286.

(13) تفسير القرآن العظيم - ابن أبي حاتم- 5/1567.

(14) الإتقان في علوم القرآن- السيوطي- 4/216.

القسم الثاني: أصول تتعلق بصفات المستشهد العلمية، فيكون صاحب علم بـ:

أ- معرفة أوضاع اللغة العربية وأسرارها.

فإن ذلك يعين على فهم الآيات التي لا يتوقف فهمها على غير لغة العرب، فقد ورد أن عمر بن الخطاب ح قال: "عليكم بديوانكم لا تضلوا، قالوا وما ديواننا؟ قال: شعر العرب، فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم" (15) (16).

ب- معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها.

وخاصة الذين عاشوا في عصر التنزيل؛ فذلك مما يعين على فهم القرآن ويبعد من الوقوع في الشبه.

ت- معرفة أسباب النزول.

وما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، فإنها قرائن تعين على الفهم، قال الواحدي: "لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها، وبيان سبب نزولها" (17).

وفي جواب ابن عباس ح لعمر بن الخطاب ح ما يبين أهمية معرفة سبب النزول:

"حَلَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ ح ذَاتَ يَوْمٍ فَجَعَلَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ، فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: كَيْفَ تَحْتَلِفُ هَذِهِ الْأُمَّةُ، وَكِتَابُهَا وَاحِدٌ، وَنَبِيِّهَا وَاحِدٌ، وَقِبْلَتُهَا وَاحِدَةٌ؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْقُرْآنَ فَقَرَأْنَاهُ وَعَلِمْنَا فِيهِ نَزْلَ، وَإِنَّهُ يَكُونُ بَعْدَنَا أَقْوَامٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ وَلَا يَعْرِفُونَ فِيهِ نَزْلَ، لَكُلِّ قَوْمٍ فِيهِ رَأْيٌ، فَإِذَا كَانَ لِقَوْمٍ فِيهِ رَأْيٌ اخْتَلَفُوا، فَإِذَا اخْتَلَفُوا افْتَنَّتُوا" فَرَبَّرَهُ عَمْرُ فَأَنْصَرَفَ ابْنُ عَبَّاسٍ ثُمَّ دَعَاهُ بَعْدُ فَعَرَفَ الَّذِي قَالَ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا أَعْدُ" (18).

ث- معرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن.

إذ تعين على فهم الآيات التي تتحدث عنهم أو ترد عليهم.

ح- قوة الفهم وسعة الإدراك.

وبدهي أنهم قد تفاوتوا في ذلك، وكل ما كان المفسر أقوى بالفهم كان تفسيره أقرب للحق والصواب بالغالب، وقد كان ابن عباس صاحب النصيب الأوفر في ذلك، بدعاء النبي (صلي الله عليه وسلم) له (19).

خ- معرفة وعلم راسخ بعلم القرآن

يجب على من أراد أن يفسر بالرأي المحمود أن يكون على معرفة تامة بـ: أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمكي والمدني، والغريب، والمشكل، والوقف والابتداء، والقراءات وأوجهها، والقراءات الشاذة التفسيرية، والأحاديث المبينة للمجمل والمبهم، والأحاديث المخصصة للعام، والمقيدة للمطلق ... وهذه العلوم لا تؤخذ إلا بالنقل الصحيح ولا تنفك عن التفسير بالمأثور بل هي نابعة منه (20).

ثانياً: أصول تتعلق بالمستشهد عليه

المستشهد عليه: هو الشيء الذي يريد المستشهد توضيح حكمه الشرعي أو الترغيب فيه أو الترهيب منه... أو غير ذلك من الأشياء المراد بيانها من خلال الاستشهاد بآيات القرآن.

وإذا أردنا أن يكون المُسْتَشْهَد عليه أكثر دقة لا بد أن يكون له أصول وقواعد ينطلق منها المستشهد، وهي على النحو التالي:

1- أن يكون المستشهد عليه جاء الشرع بتحريمه فيبين المستشهد خطره فيحذر منه.

ومن خلال دراسة الباحث للاستشهادات بعد جمعها؛ تبين له أن كثير من استشهادات التابعين بآيات القرآن الكريم فيها نصح لعوام المسلمين، وتحذير من الوقوع في المحرمات.

مثال/ "عن قتادة - من طريق سعيد- في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ} [البقرة: 27] قال: إياكم ونقض هذا الميثاق، فإن الله قد كره نقضه، وأوعد فيه، وقدم فيه في أي من القرآن تقدمه ونصيحة وموعظة وحجة، ما نعلم الله أوعد في ذنب ما أوعد في نقض هذا الميثاق، فمن أعطى عهد الله وميثاقه من ثمرة قلبه، فليوف به الله" (21).

(15) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- ابن عطية - 12/1.

(16) لم أجد هذا الأثر في كتب الأحاديث والآثار.

(17) تفسير مقاتل بن سليمان- 8/5.

(18) شعب الإيمان- أبو بكر البيهقي- فصل في ترك التفسير بالظن- (ص542، ج3، ح 2086).

(19) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز- ابن عطية- 12/1.

(20) انظر: موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور- أ. د. حكمت ياسين- 5/1.

(21) الدر المنثور- السيوطي- 104/1.

استشهاد التابعين بآيات القرآن الكريم
(معناه وأصوله وضوابطه وموضوعاته)

2- أن يكون المستشهد عليه له أصل في الشرع إما أمر الشرع به أو نهي عنه.
ينبغي أن يكون مرتبط ارتباطاً وثيقاً بين المستشهد به والمستشهد عليه، فمن المستحيل أن يستشهد التابعي بأية من كتاب الله على حكم ما وهو ليس له أصل في شرع الله أو غير موجود أساساً، لأنهم لا يتقولون على الله، ولا يحملون الآيات ما لا تحتمله.

وأمثلة ذلك كثيرة لا داعي لذكرها.

3- أن يكون المستشهد به يستحسن العمل به ويتجاهله كثير من الناس.
ومن المعلوم أن التابعين كانوا حرصين على العمل بكل ما أمر به الشارع، سواء كان واجباً أو مندوباً، فكان يعملون الخير ويدعون له.

مثال/ عن عطاء قال: "ينبغي لكل من نفر أن يقول حين ينفر متوجهاً إلى أهله: { رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } [البقرة: 201]"⁽²²⁾

4- أخذ بالإسرائيليات إذا كانت توافق الشرع والاستشهاد عليها بآيات القرآن.
من خلال النظر والتأمل في استشهادات التابعين وجد الباحث أن بعض علماء التابعين يأخذون بعض ما نزل على سيدنا موسى ويستشهدون عليه بآيات من القرآن لوعظ الناس وتوضيح آيات القرآن الكريم.

مثال/ عن يزيد بن ميسرة⁽²³⁾ رحمه الله قال: "أجد فيما أنزل الله على موسى أيفرح عبدي المؤمن أن أبسط له الدنيا وهو أبعد له مني، أو يجزع عبدي المؤمن أن أقبض عنه الدنيا وهو أقرب له مني، ثم تلا: { أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ * نَسَارِعَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ } [المؤمنون: 55، 56]"⁽²⁴⁾.

5- أن يكون حكم شرعي محتاج لمعرفة حكمه:

ومن خلال دراسة الباحث للاستشهادات بعد جمعها؛ تبين له أن جل استشهادات التابعين بآيات القرآن الكريم كانت بناءً على حاجة الماسة لها؛ لتعزيز عمل ما أو إصدار حكم أو الحث على خلق أو موعظة وتذكير بالآخرة أو غير ذلك، وفي الغالب يوفق المستشهد بالقرآن الكريم للحق والصواب؛ لهذا لا نستطيع أن نستغني عن استشهادات التابعين أبداً.

ثالثاً: أصول تتعلق بالمُستشهد به

المُستشهد به: هو الذي يأتي به المستشهد للاستدلال على شيء ما، سواء كانت آية من كتاب الله أو جزء من آية أو عدة آيات، وربما كان حديثاً شريفاً أو بيت شعر أو قول لأحد العلماء؛ ولكن موضوع دراستنا هنا الاستشهاد بالقرآن إما يكون لتقويم السلوك ولتحسين الأخلاق وإما أن يكون لبيان حكم شرعي... وهكذا، وهناك أصول تتعلق بالمستشهد به ليستقيم الاستشهاد وليصح الاستشهاد به، ومنها:

1- أن يتضمن المستشهد به وجه الاستشهاد:

وهذا الأصل لا يمكن الاستغناء عنه بتاتاً، فالاستشهاد بالآية لا يكفي؛ لأنه إذا لم يكن وجه الاستشهاد موجوداً لا يصح الاستشهاد، وكل استشهادات التابعين التي سأوردها في هذه الرسالة سيكون المستشهد به مُتَضَمِّناً لوجه الاستشهاد أو ما يسمى بالشاهد.

2- أن يكون الرابط بين المستشهد به والمستشهد عليه واضحاً:

يلزم أن يكون بين معنى الآية الظاهر وبين ما ذكره من الاستشهاد أو التفسير قياساً ارتباطاً ظاهراً، وإلا كان الاستشهاد بالآية أو حملها على التفسير القياسي خطأً.

والمقصود هنا في الوضوح أي الرابط العلمي بينها وثيق، كأن يندرج تحت: عموم اللفظ، أو قياس ظاهر في وجود العلة في كل من المستشهد به (وهي الآية) والمستشهد عليه، إلى غير ذلك من القواعد⁽²⁵⁾.

ومن الأمثلة على ما سبق كل ما جاء في استشهادات التابعين، ومنها:

(22) المرجع السابق- 1/ 560.

(23) هو: يزيد بن ميسرة بن حبيلس الدمشقي، كنيته أبو يوسف، سكن حمص، وكان واعظاً زاهداً عارفاً، روى عن: أم الدرداء وأبي إدريس الخولاني، روى عنه: معاوية بن صالح وصفوان بن عمرو. توفي سنة (120 هـ). انظر: التاريخ الكبير- البخاري- 8/ 355، الثقات- ابن حبان- 627/7، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام- الذهبي- 3/ 340.

(24) الدر المنثور- السيوطي- 6/ 104.

(25) انظر: استشهاد الصحابة بأي القرآن الكريم في ضوء "موسوعة التفسير المأثور"- د. محمد العروقي- ص45.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : "لَا يَجُوزُ الْقُعُودُ مَعَهُمْ وَإِنْ خَاضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام: 68]"⁽²⁶⁾، فهنا المستشهد به جزء من الآية وهو قوله عز وجل: {فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام: 68]، والمستشهد عليه وهو عدم جواز الجلوس مع الظالمين ولو خاضوا في حديث غيره، والذي يربط المستشهد به بالمستشهد عليه هو أن الله نهى في هذا الجزء من الآية أن نقعد مع القوم الظالمين، إذا وجه الاستشهاد (الشاهد) هو عدم جواز القعود مع الظالمين الذين يخوضون في آيات الله، وقد تضمنته الآية المستشهد بها وتضمنه كذلك المستشهد عليه، والارتباط بين المستشهد به والمستشهد عليه وهو وجه الاستشهاد كان ظاهراً وواضحاً لا لبس فيه⁽²⁷⁾.

المطلب الأول: ضوابط الاستشهاد.

للاستشهاد ضوابط مهمة لا بد للمستشهد وللمفسر أن يأخذها بعين الاعتبار يعمل بها، ومنها:
أولاً: لا يصحُّ للمستشهد أن يقصر الآية على ما فسَّرَ به قياساً، ولو فعل لكان فعله تحكماً بلا دليل، كما هو حال أهل البدع.

ثانياً: يستحسنُ ذكر مدلول الآية المطابق، وهو أنها نازلةٌ في الكفار، وأنه يُستفاد منها أنَّ من اتصف بهذه الصفة من المسلمين، فإنه يُلحق بحكم الكفار، ولكن كلُّ بِحَسَبِهِ، فهذا كافرٌ كُفراً محضاً، وهذا مسلمٌ عاصٍ وافق الكفار في هذه الصفة، والله أعلم.

ثالثاً: عند الاستشهاد بالآية القرآنية يلزم منه معرفة الأصل الذي تدلُّ عليه الآية، وإلا لما أمكن إدراك وجه الشبه بين المستشهد به والمستشهد عليه.

رابعاً: لا يجوز الاستشهاد بالقرآن في مواطن الهزل، فهذا حرام لا يجوز القول به، ومثله الاقتباس الذي يعمل به بعض الشعراء في شعرهم، فيدخلون مقطعاً من آية في مواطن هزلية أو غير لائقة بالقرآن، فيجب الحذر من ذلك؛ لأنه من المحرمات، فالقرآن جدُّ كلِّه ليس فيه هزل، كما قال تعالى: {إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ} [الطارق: 13، 14].
وأخيراً، يجب أن يُعلم أنَّ هذا الاستشهاد أو حمل الآية على التفسير بالقياس أنه من التفسير بالرأي، ولذا يلزم الحذر منه، والتأكد من صحة حمل الآية عليه⁽²⁸⁾.

المطلب الثاني: موضوعات الاستشهاد

من خلال دراسة الباحث لاستشهادات التابعين تبين له أن الاستشهادات تتضمن موضوعات متنوعة من العقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق، مع ملاحظة أن هناك استشهادات متداخلة في أكثر من موضوع بل قد تشمل على جميع هذه الموضوعات، فإن كان المستشهد عليه تقويم لأخلاق فهو من الأخلاق، وإن كان في تقويم العقيدة فهو من العقيدة، وهكذا.

وبناءً على ذلك كان ما ورد عنهم من موضوعات تضمنتها الاستشهادات على النحو الآتي:

العقيدة: (78) استشهاداً.

المعاملات: (200) استشهاداً.

العبادات: (145) استشهاداً.

الأخلاق: (65) استشهاداً.

وهذه النتيجة من استشهادات التابعين تشير إلى عدة أمور، وهي:

مناسبة أعداد هذه الاستشهادات على هذه الموضوعات لحالة عصر التابعين الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي كانوا يعيشون فيها، انتشر في عصرهم بشكل كبير بعض رؤوس فرق الضلالة من الخوارج والقدرية⁽²⁹⁾

(26) معالم التنزيل في تفسير القرآن- البغوي- 1/ 714.

(27) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم- أبو السعود- 7/ 121.

(28) انظر: الاستشهاد بالآيات في غير ما نزلت فيه، وتنزيل آيات الكفار على المؤمنين- أ.د. مساعد الطيار، 2003-4-15، موقع أ.د. مساعد الطيار: https://www.attyyar.com/?action=articles_inner&show_id=2188.

(29) هم: نفاة القدر، الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى، وأول من قال بالقدر معبدٌ الجهني. انظر: الملل والنحل- الشهرستاني- 1/ 47، التعريفات- الجرجاني- ص 174.

والجهمية⁽³⁰⁾ والمعتزلة⁽³¹⁾ خصوصاً، فنجد الاستشهاد بآيات القرآن؛ لدعوة هذه الفرق وتوضيح الحجج لهم، وبيان خطأهم والتحذير منهم، مع ما ورد أيضاً من استشهادات في غير الرد على الفرق الضالة كتوضيح بعض مسائل العقيدة التي اختلف فيها التابعين، وهي ليست من صلب العقيدة وأصولها، وإنما في بعض صورها وفروعها، والحقيقة أنه ليس بينهما خلاف فبعض أهل العلم جمع بين الأقوال من غير تعارض فيما بينها، وكذلك الاستشهاد لتوضيح باقي أمور العقيدة من الإيمان بالله ورسوله والقدر خيره وشره وغير ذلك⁽³²⁾.

وأما المعاملات فقد ورد أكبر عدد من استشهادات التابعين عنها؛ وذلك لأن الدولة الإسلامية اتسعت؛ وزاد المال، وزاد عدد أفراد المسلمين والمعاملات بينهم في شتى مناحي المعاملات المالية وغيرها، فواكب اتساع هذا الجانب في المعاملات زيادة عدد الاستشهادات، وهذا تناسق بين العلم والعمل⁽³³⁾.

وأما العبادات فقد جاء عدد استشهادات التابعين فيها في المرتبة الثانية بعد استشهادات المعاملات؛ وذلك لعنايتهم بالعبادات وتصحيحها؛ ولأنه قد زاد عدد المسلمين ودخل في الإسلام أعداد كبيرة مع الفتوحات، فهؤلاء بحاجة ماسة إلى تعلم الصلاة والصيام والحج وسائر العبادات.

وأما استشهادات التابعين بآيات القرآن الكريم الواردة في الأخلاق فهي أقل عدد من أعداد موضوعات الاستشهادات الأخرى، وذلك لأنهم قريبيين من عهد النبوة والفطرة السليمة وأخلاق العرب التي يغلب عليها الخير؛ ولأنه تدرك أكثرها بالفطرة والقُدوة من الصحابة، ولا تحتاج للاستشهاد عليها من القرآن الكريم ووحى من السماء، بخلاف الأمور التعبدية والمعاملات فإنها تحتاج لتقويمها -في أغلبها- لوحى وقرآن، وهذا يدل على انتشار الأخلاق الفاضلة في ذلك العصر.

الخاتمة:

الحمد لله الذي أنعم على إتمام هذا العمل المتواضع، سائلاً المولى عز وجل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وبعد فهذه أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها من خلال بحثي:

أولاً: النتائج:

- 1- عظم القرآن وسعة ما فيه من العلوم وشموله لإصلاحه أي مجتمع.
- 2- القرآن كان قدوة للتابعين؛ حكماً ومحكومين في كبير الأمور وصغيرها.
- 3- سعة علم التابعين رحمهم الله في اللغة والفقه والتفسير والأصول والشعر وسائر الفنون المتعلقة بالقرآن الكريم، ومدى دقتهم في فهم آيات الله تعالى وما تضمنته من معاني.

ثانياً: التوصيات:

- 1- يوصي الباحث أهل العلم والباحثين العناية باستشهادات التابعين، بمزيد من الدراسة والبحث.
- 2- يُمكن أن يتناول الباحثون استشهادات التابعين من عدة نواحي؛ من لغة، وفقه، وأصول، وسنة وأثرها في استشهادات التابعين بآيات القرآن الكريم.

(30) هم: أتباع جهم بن صفوان، الذي قال بالجبر والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلها، وزعم أن الجنة والنار تبيدان وتفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط. انظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية- الأسفريبي- ص 199.

(31) هم: أصحاب وأصل بن عطاء الغزالي، الذي قال بالقدر، ثم اعتزل مجلس الحسن البصري، فسُمي أتباعه المعتزلة، وقد ظهوروا في أواخر العصر الأموي، ثم قُتِلوا في العصر العباسي، ومذهبهم تقديم العقل على النقل، وإنكار الصفات، وقالوا بأن مرتكب الكبيرة بالمنزلة بين المنزلتين، ويسمون أنفسهم أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية، والعدلية. انظر: الملل والنحل- الشهرستاني- 1/43، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع- المُلطي- ص 37، التعريفات- الجرجاني- ص 222.

(32) انظر: تفسير المنار- محمد رشيد رضا- 1/9.

(33) انظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم- مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر- 9/1.

المراجع:

- 1- التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت: 816هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403هـ - 1983م.
- 2- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار): محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990م، عدد الأجزاء: 12. تفسير مقاتل بن سليمان- 8/5.
- 3- الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة 1394هـ/ 1974م.
- 4- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- 5- استشهاد الصحابة بأي القرآن الكريم في ضوء "موسوعة التفسير المأثور" (رسالة مقدمة لنيل درجة التخصص العليا "الدكتوراه"): إعداد/ محمد سليم أحمد العروقي، جامعة القرآن الكريم وتأسيس العلوم- السودان، رمضان 1442هـ - 2021م.
- 6- الاستشهاد بالآيات في غير ما نزلت فيه، وتنزيل آيات الكفار على المؤمنين"، 2003-4-15، موقع أ.د مساعد الطيار، (https://www.atyyar.com/?action=articles_inner&show_id=2188).
- 7- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، 2003م.
- 8- التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)، الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، عدد الأجزاء: 8.
- 9- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - 1419 هـ.
- 10- التفسير والمفسرون: الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، عدد الأجزاء: 3.
- 11- تكملة المعاجم العربية: رينهارت بيتر آن دوزي (المتوفى: 1300هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: ج 1 - 8: محمد سليم النعيمي، ج 9، 10: جمال الخياط، الناشر: وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، الطبعة: الأولى، من 1979 - 2000م، عدد الأجزاء: 11.
- 12- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع: محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو الحسين المأطي العسقلاني (المتوفى: 377هـ)، المحقق: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث - مصر، عدد الأجزاء: 1.
- 13- الثقات: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن معبد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي (المتوفى: 354هـ)، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى، 1393هـ - 1973.
- 14- جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420 هـ - 2000م.
- 15- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1424هـ - 2003م.
- 16- شعب الإيمان، أحمد بالفصلن الحسين بن علي بن موسى الخسرؤجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية بيومباي - الهند، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بيومباي بالهند، الطبعة الأولى، 1423 هـ - 2003م.
- 17- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (المتوفى: 429هـ)، الناشر: دار الأفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1977، عدد الأجزاء: 1.

- 18- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، عدد الأجزاء: 1.
- 19- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الإفريقي (ت: 711هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.
- 20- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - 1422 هـ.
- 21- مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة الخامسة، 1420هـ / 1999م.
- 22- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: 510هـ)، تحقيق: حقه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1417 هـ - 1997 م.
- 23- المعاني المرتبطة بالآية بين التفسير والاستدلال، 27-11-2020، موقع أ.د مساعد الطيار، https://www.attyyar.com/?action=user_home.
- 24- موسوعة التفسير قبل عهد التدوين: محمد عمر الحاجي، الناشر: دار المكتبي - دمشق، الطبعة: الأولى، 1427 هـ - 2007 م، عدد الأجزاء: 1.
- 25- موسوعة الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور: أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، الناشر: دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م، عدد الأجزاء: 4.